التَّجْرِيدُ

(بَلاَغَتُهُ وَأَسَالِيبُهُ فِي الْقُرْآنِ المَجِيدِ)

إِعْدادُ :

د. عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثُّبَيْتِيِّ

الأُسْتَاذ الْمُسَاعد فِي كُلِّيَّة اللغَةِ الْعَرَبِيَّة فِي الْجَامعَة

مقدّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، أما بعد:

فليس غرضي من هذا البحث استعراض تاريخي لمن تعرض للتجريد من البلاغيين، لأن هذا الموضوع قد درس[١]، ولكن غرض هذا البحث هو فحص الآراء التي قالت بوجوده في القرآن وتمحيصها.

غير أني سأعرض في بداية البحث موجزاً لأهم ما قاله البلاغيون عنه وإن كان حديثهم عنه متشابهاً إلى حد ما.

وهذا البحث وإن بدا مقتضباً فما ذلك إلا لخلوه من الكلام الإنشائي الذي لا قيمة له مما يعمد إليه كثير من الباحثين، ثم لاهتمامه بعرض أدقّ دقائق البلاغة التي قد لا تفهم وجهات النظر حولها إلا بعد تأمّل.

والتجريد الذي أعنيه ليس مخاطبة المتكلم نفسه، فهذا لا أعده من التجريد كما سأشير إلى ذلك؛ لأنّ أي متحدث يمكنه فعل ذلك حتى لو لم يكن من البلغاء وإنما التجريد الذي أريده هو ما عدا ذلك من الأساليب التي ستأتي الإشارة إليها.

فبعد أن جمعت مسائله البلاغية ثم تلمّست أهداب هذا الأسلوب في القرآن الكريم ومن خلال التفاسير فعثرت على عدد من الآيات عدّها بعض العلماء من التجريد.

وعرضت ما قالوه وناقشت ما قيل ما أمكنني ذلك. فالمصادر قليلاً ما تجود بشيء تجاه أسلوب التجريد لا أدري أذلك بسبب بخفائه شيئاً ما ودقة

---

[١] انظر بحوث في البلاغة العربيّة والنقد للدكتور الشحات أبو ستيت ص ١٦٥ إلى آخر الكتاب.

البحث فيه؟ أم لضيق مجال البحث فيه.

لكني مع ذلك آثرت البحث في هذا الباب الدقيق وأرجو أن أكون قد جليت أمر التجريد وكشفت للباحثين عن شواهده في القرآن الكريم؛ ذلك الكتاب الذي اشتمل على الأساليب البليغة الراقية.

- التجريد عند البلاغيّين

التجريد: أسلوب لطيف وفي بعض أساليبه شيء من الغموض الفني المحبب ويحتاج إلى تأمل ونظر في استخراجه وكشف دلالاته.

والبلاغيون المتأخرون يعدونه من البديع المعنوي ويعرّفونه بأن يُنتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله في تلك الصفة مبالغة في كمالها فيه⁽¹⁾.

ومثال ذلك قولك: لي من فلان صديق حميم حيث انتزعت من فلان صديقا له صفة هي الصداقة.

وكانت الإشارة إلى التجريد مبكرة، فيعد سيبويه من أوائل من أشاروا إليه ومثل له بقولهم: أما أبوك فلك أب، ورأى أنه بمعنى فلك به أب، وعد هذا من السعة في الكلام⁽²⁾.

وكان ابن جني من أوائل من تحدث عن التجريد وذكر أنه فصل من فصول العربية "طريف حسن" وذكر أنه على نوعين:

– أحدهما: نحو لئن لقيت زيدا لتلقين منه أسدا

– والثاني: نحو قول الأعشى:

وهل تطيق وداعا أيها الرجل⁽³⁾

---

(1) الإيضاح ٤/٤٤.

(2) الكتاب ١/٣٩٠.

(3) الخصائص ٢/٤٧٣-٤٧٥.

وقد تحدث عبد القاهر عن هذا الأسلوب وذكر أنه أجمل وأحسن مبالغة من التشبيه وبين أنك قد تقول: لئن لقيت زيداً لتلقين منه الأسد. فتجده قد أفاد المبالغة لكن في صورة أحسن وصفة أخص.

بينما لو قلت: كأن زيداً أسداً فإنك تجعل السامع في كأن زيداً أسداً يتوهم أنه الأسد وتجعله ها هنا يرى منه الأسد على القطع فيخرج الأمر عن حد التوهم إلى حد اليقين ثم إذا نظرت إلى قوله:

أأن أُرعشت كفّا أبيك وأصبَحت   يداك يدا ليثٍ فإنك غالبُه

وجدته قد بدا في صورة آنق وأحسن ثم إن نظرت إلى قول أرطأة بن سهية:

إن تلقني لا تَرَى غيري يُناظرُه   تنس السِّلاح وتعرف جَبْهةَ الأسَدِ

وجدته فضل الجميع[1].

وهنا يجعل عبد القاهر أسلوب التجريد يفوق أسلوب التشبيه في الحسن والمبالغة بل وجعل التجريد أنواعا يفضل بعضها بعضا وجعل أقل أنواع التجريد ما كان بالحرف نحو رأيت منه أسدا، كما جعل أحسن أنواع التجريد ما كان خفياً. وقد أصاب عبد القاهر في ذلك، فالأسلوب الخفي له بلاغته لأنه يلفت اهتمام المخاطب أكثر من الأسلوب الواضح ولذلك فضل العلماء الكناية على التصريح[2].

أما ابن الأثير فقد خالف البلاغيين وقد عرّف التجريد بأنه إخلاص الخطاب لغيرك وأنت تريد نفسك نحو قول الشاعر:

أقول لها وقد جشأت وجاشت   مكانك تحمدي أو تستريحي

---

(١) دلائل الإعجاز ٤٢٤-٤٢٥.

(٢) انظر الإيضاح ١٧٣/٣.

يعني أن يخاطب الإنسان نفسه.

أما نحو لئن لقيت فلاناً لتلقين منه أسداً، فهذا ليس من التجريد عند ابن الأثير وإنما هو تشبيه مضمر الأداة إذ يحسن تقدير أداة التشبيه فيه⁽¹⁾.

ونحن لا نوافق ابن الأثير في كل ما ذكر، بل نرى عكس رأيه تماماً، وسيأتي بيان ذلك⁽²⁾ إن شاء الله.

أما القزويني فقد قسم التجريد إلى سبعة أقسام وهي:

١- نحو قولهم لي من فلان صديق، وبيّن أن معناهم أنه بلغ من الصداقة مبلغاً صح معه أن يستخلص منه صديق آخر.

٢- نحو قولهم لئن سألت فلاناً لتسألن به البحر.

٣- نحو قول الشاعر:

وشوهاءَ تعدوبي إلى صارخ الوغى بمستلئم مثل الفنيق المرحل⁽³⁾

نحو قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ﴾ [فصلت ٢٨] لأن جهنم هي دار الخلد للكفار والعياذ بالله انتزع منها مثلها.

٤- نحو قول الشاعر:

فلئن بقيتُ لأرحلنّ بغزوةٍ تحوى الغنائم أو يموتَ كريم

٥- نحو قول الشاعر:

يا خير من يركب المطي ولا يشرب كأساً بكف من بخلا

---

(1) المثل السائر ٢/١٦١-١٦٧.

(2) ردَّ البلاغيون رأي ابن الأثير وخطؤوه. انظر بحوث في البلاغة والنقد ص ١٨٣ - ١٨٤. ورأي العلوي قريب من رأي ابن الأثير، فعد هذا هو التجريد المحض، وعد الأنواع الأخرى من قبيل التجريد غير المحض. انظر الطراز ج٣/٧٢.

(3) الشوهاء: الفرس القبيح- الفنيق: الفحل، المرحل: هو الذي وضع عليه الرحل.

٧– نحو أن يخاطب الإنسان نفسه كقول الأعشى:

ودع هريرة إن الركب مرتحل　　وهل تطيق وداعاً أيها الرجل[1]

وإذا ما نظرنا في هذه الأنواع نظرة تأمل وجدنا أن الخطيب قد ذكر ما ذكره العلماء السابقون لكنه فصل في هذه المسألة ويمكننا أن نرد تلك الأقسام التي ذكرها إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما كان فيه التجريد بحرف كالقسم الأول والثاني والرابع.

الثاني: ما كان فيه التجريد بغير حرف وإنما بطريقة كنائية[2] كالنوع الثالث والخامس والسادس.

الثالث: أن يخاطب الإنسان نفسه وهو النوع السابع وهذا النوع سنخرجه من التجريد لأنه ليس من جنس الأنواع السابقة وإنما هو أقرب إلى الالتفات بل وأقل شأناً من الالتفات لأنه لا إبداع فيه فكل متحدث يمكنه أن يخاطب نفسه.

فالتجريد فيما أراه نوعان:

إما أن يكون بحرف أو بغير حرف فما كان بحرف فنحو قولك رأيت من زيد أسداً، وما لم يكن بحرف فنحو قول الشاعر:

فلئن بقيت لأرحلن بغارة　　تحوي الغنائم أو يموت كريم

وهذا النوع حصل من التغيير في الضمائر بما يشبه الالتفات لكنه يختلف عن الالتفات؛ لأنك في الالتفات إذا جعلت الضمائر على نسق واحد ذهب الالتفات واستقام الأسلوب فمثلاً لو قال قائل: الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياه نعبد وإياه نستعين لكان كلامه مستقيماً، لكن

---

[1] الإيضاح ٤/٤٤-٤٦.

[2] انظر إشارة إلى ذلك في بغية الإيضاح ٤/٤٥، وانظر مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص ٤/٣٤٩.

ذهب الالتفات الذي في الفاتحة ونقصت تلك الدلالة البلاغية لكنا نلاحظ أننا لما جعلنا الضمائر على نسق واحد لم نضطر إلى تغيير العبارة.

بينما في التجريد في قول الشاعر هذا لو صغته بطريقة جعلت فيها الضمائر على نسق واحد نجد أنك في حاجة إلى تغير في الأسلوب ليتماشى مع تغيير الضمير، فمثلاً لو غيرت الضمير في قول الشاعر السابق وقلت:

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة تحوي الغنائم أو أموت كريما

تجد أنّ لفظ كريم قد تحول من الفاعلية في البيت إلى الحالية هنا بعد أن جعلنا الضمائر على نسق واحد، وهذا هو سر اختلاف أسلوب التجريد عن الالتفات.

- التجريد والتشبيه:

جعل السجلماسي التجريد على نوعين بسيط ومركب، أما البسيط فهو الذي ليس معه تشبيه نحو:

وظلت أمور الناس يغشين عالماً بما يتقى منها وما يتعمد

أي يغشين مني عالماً.

وأما المركب فهو الذي معه تشبيه، كقول المتنبي:

كشفت ثلاث ذوائب من شعرها في ليلة فأرت ليالي أربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها فأرتني القمرين في وقت معا[1]

نعم قد يكون مع التجريد صورة بيانية وهو ما سماه السلجاسي بالمركب، وقد اختلف البلاغيون في هذا القسم فعبد القاهر عندما استشهد بقول الفرزدق:

قيام ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالا

قال: لا يتوهم أحد أن هلالا استعارة لسعيد لأن الحكم على الاسم

---

[1] انظر المنزع البديع ص٢٨١-٢٨٦.

بالاستعارة مع وجود التشبيه الصريح محال[١].

وعبد القاهر هنا يعده تشبيها صريحاً ويعده السكاكي[٢]تشبيهاً أيضاً. أمّا القزويني فلا يعده تشبيها ولا استعارة[٣]، والشيخ عبد المنعم خفاجي يرى أن من البلاغيين من يعده تشبيها ومنهم من يعده استعارة بالكناية، ويرى هو أنه ليس تشبيها لأن قولنا لي من فلان صديق لا يصح أن تقول فيه: فلان كالصديق وإنما هو الصديق نفسه فكذلك قولنا: لي من فلان أسد كما أنه ليس استعارة لأن الاستعارة مبناها على التشبيه فحيث لم يصلح تشبيها فلا يصلح استعارة[٤].

والذي أراه أنه ليس تشبيها ولا استعارة وإنما هو أسلوب مختلف له بلاغته وصياغته المتميزة، وحجة الشيخ عبد المنعم صحيحة.

- التجريد والكناية:

يجتمع التجريد مع الكناية كما في قول الأعشى السابق

يا خير من يركب المطي ولا		يشرب كاساً بكف من بخلا

لأنّ قوله: ولا يشرب كاساً بكف من بخلا، كناية عن أنه يشربها بكف كريم وهو إنما يشربها بكف نفسه فهو الكريم، وبذلك اجتمعت الكناية والتجريد في شاهد واحد، والكناية لا تنافي التجريد[٥].

- حروف التجريد:

يقول الشيخ عبد المنعم خفاجي: وقد جعل بعضهم التجريد معنى قائماً

---

[١] أسرار البلاغة ص٣١٢.

[٢] المفتاح ص٣٤٥.

[٣] الإيضاح ١٠١/٣.

[٤] شرح عبد المنعم خفاجي على الإيضاح ٥٨/٦-٥٩.

[٥] انظر حسن التوسل ص١٨٦، بغية الإيضاح ٤٦/٤.

برأسه لكلمة

(من) والأصح أنها ابتدائية، كما أن باء التجريد باء المصاحبة[1].

- ومن حروف التجريد ((في)) ويستشهدون عليه بقوله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ﴾ [فصلت ٢٨] [2].

ولم أجد من النحاة من ذهب إلى أن التجريد يكون من معاني الحروف ولكن مع ذلك أرجّح أن يكون التجريد معنى قائماً برأسه لأن من الابتدائية تعني بداية الأمر الذي ينتهي إلى غاية نحو سافر زيد من مكة إلى المدينة، لكن من في قولنا رأيت منه أسدا ليست لمثل هذا المعنى فليس خروج الأسد من زيد هو لغاية يصل إليها والله أعلم.

- بلاغة التجريد:

لا أحب حديث بعض البلاغيين الإنشائي الانطباعي عن بلاغة التجريد كأن يقال: هو أسلوب بديع يكسو المعاني حسناً وجمالاً إلخ[3]. لكني سأقف عند الدلالات المحدّدة لهذا الأسلوب، فقد ذكر بعض البلاغيين أن الغرض من التجريد هو التفنن في الأسلوب كما في الالتفات وإن كان الالتفات مبني على اتحاد المعنى والتجريد على التغاير بينهما فهما قد يجتمعان في نحو قول الشاعر:

فإن بقيت لأرحلن بغارة   تحوى الغنائم أو يموت كريم

وقد ينفرد الالتفات نحو قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ وقد ينفرد التجريد نحو قولك: لي من فلان صديق[4].

---

[1] شرح الشيخ عبد المنعم على الإيضاح ٦/٥٤.

[2] انظر الخصائص ج٢/ص ٤٧٤.

[3] انظر: بحوث في البلاغة والنقد ص ٢٢٤.

[4] بغية الإيضاح ٤/٤٤.

نعم إن الغرض من التجريد هو التغيير في الأسلوب وخاصة إذا خشي الأديب أن يأتي بتشبيه مبتذل فإنه يلجأ إلى التجريد أحياناً ليخالف في الأسلوب. ومن غرضه أيضاً محاولة إخفاء المعنى بنوع من الكناية ليكون محل تأمل المخاطب ومدعاة لاهتمامه به وذلك عندما يكون التجريد بغير الحروف.

وفي التجريد مبالغة – كما ذهب عبد القاهر سابقاً – وكما ذكر ابن الأثير من أنه بلاغة التجريد التوسع في الكلام (١).

والتجريد حسن الموقع وبخاصة إذا أحسن الأديب في اختيار مواقعه انظر مثلاً إلى قول ابن زيدون في المدح:

كريم ذراه مطافُ العفاة   وعِناه ركنُ الندى المستلمْ
يهيجُ النزال به والسؤال   ليثاً هصوراً وبحراً خضمْ

كيف حسُن هذا الأسلوب وصار أكثر شاعرية وقارن بينه وبين لو قال هو كالأسد في الشجاعة وكالبحر في الجود، فستجد لذة في استعمال الشاعر ونكهة جديدة لا تجدها في التشبيه المبتذل برغم أن المعنى في الأسلوبين واحد.

* * *

---

(١) المثل السائر ج٢ ص ١٦٠.

شواهد التجريد من القرآن العظيم

- **قوله تعالى:** ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: ١٦٤].

ذكر بعض العلماء أن في هذه الآية وما شابهها تجريداً لأنه ذكر هذه الأشياء ثم أخرج منها الآيات وهي نفسها الآيات(١).

وعده السجلماسي مما سماه التجريد البسيط وكل الآيات التي جاءت على هذا النحو(٢).

ولكني لا أرى في هذه الآية وأمثالها تجريداً والسبب في ذلك هو أن الآية هنا ليست العلامة التي إذا رآها الناس آمنوا كالآيات التي أنزلت على الأنبياء عليهم السلام فتلك آيات جيء بها لإثبات صدق الأنبياء، فهي خوارق للعادات بينما خلق السماء والأرض لم يكن الغرض منها مجرّد أن تدلّ على وحدانيّة الله فهي ليست آية خالصة لهذا الغرض وإنما خلقت هذه الأشياء من أجل الإنسان وهي مسخرة له ولكن مع ذلك متضمنة لدلالات وأسرار عظام من تأملها آمن وصدق ففي هنا ظرفية تعني اشتمال تلك المخلوقات على الآيات. أو أنها تعني خصوصية هذه الأسرار، ففي آخر الآية نجد أن هذه الآيات لا يدركها إلا الذين يعقلون أو يتفكرون، فالآيات تكمن في هذه المخلوقات ولا تظهر إلا

---

(١) البرهان في علوم القرآن ٣/٥٠٤.

(٢) المنزع البديع ص٢٨٠.

لذوي الألباب، والله أعلم.

- قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

لقد لفتت نظري هذه الآية وأدركت التجريد الذي فيها برغم أن أكثر المفسرين لم يشيروا إلى هذا التجريد وظننت أنه لم يسبقني إلى هذا الفهم أحد لكني وجدت بعد ذلك أن من العلماء من أشار إلى ذلك، وقد خصصت هذه الآية بحديث طويل مفصل؛ لأن معناها إذا فهم على التجريد يختلف عن المعنى عند من لم ير التجريد، وينبني على كلا الفهمين حكم ديني فلا بد من تحرير هذه المسألة خصوصاً وأني أعتقد أن التجريد يتجلى في هذه الآية بكل معانيه السامية وبلاغته البديعة وهنا سأبدأ أولاً بآراء من لم ير التجريد في هذه الآية لمناقشتها.

لقد قلت: إن أكثر العلماء لم يذكروا أن في هذه الآية تجريداً فمثلاً يقول الزمخشري: من للتبعيض لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولأنه لا يصلح له إلا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الأمر على إقامته⁽¹⁾.

وعلق ابن المنير على هذه الآية بقوله: وفي هذا التبعيض وتنكير أمة تنبيه على قلة العاملين بذلك وأنه لا يخاطب به إلا الخواص، ومن هذا الأسلوب قوله تعالى: ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾ فإنما وجه الخطاب على نفس منكرة تنبيها على قلة الناظر في معاده⁽²⁾.

---

(١) الكشاف ١/٤٥٢.

(٢) ضمن الكشاف ١/ ٤٥٣. أرى أن هذا القياس غير صحيح، لأن الأمة إن عرفت أو نكرت فهي تعني عددا عظيما من الناس بينما النفس في الأصل تدل على المفرد، ولا تدل على العموم إلا بقرائن ومع ذلك فهي في الآية لا تدل على القلة أبداً بل يفهم منها =

وجزم أبو حيان أن من للتبعيض مؤيداً في ذلك الضحاك والطبري وحجتهم هي ما سبق من أن الدعاء إلى الخير والنهي عن المنكر لا ينبغي أن يكون إلا ممن عرف المعروف والمنكر وكيف يترتب الأمر على القيام بهما فإن الجاهل ربما أنكر معروفاً أو أمر بمنكر وأنكر على من زعم أن من للبيان(١)، أي للتجريد.

ولكني لست مع هذه الآراء التي خصصت الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالعلماء أو الحكام أو هيئات خاصة بذلك، بل الذي أراه هو ما أشار إليه الرازي من أن من العلماء من ذهب إلى أن المراد بذلك الأمة كلها وعلل ذلك بأمرين:

الأول: أن الله أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل الأمة كما قال تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾ [آل عمران].

والثاني: أنه ما من مكلف إلا ويجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إما بيده أو لسانه أو قلبه فالمراد كونوا دعاة إلى الخير آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر(٢).

وهذا ما رجحه الطاهر بن عاشور وأن المراد بالخطاب جميع الصحابة(٣).

= العموم أي ولتنظر كل نفس، ذلك أن سياق الآية ليس إخبارا عن قلة من يفعل ذلك وإنما هو أمر يوجه للجميع بلا استثناء. ولو كان الأمر كما زعم ابن المنير لكانت نفس قوله تعالى: (فاليوم لا تظلم نفس شيئا) (يس:٥٤) للتقليل، ولدلّت على قلّة من لا يظلم، وهذا من أقبح الغلط.

(١) تفسير أبي حيان ٣/٢٣، وإلى هذا ذهب سيد قطب أيضاً، انظر في ظلال القرآن ١/٤٤٤.

(٢) انظر تفسير الفخر الرازي ٨/١٨٢.

(٣) تفسير ابن عاشور ٤/٣٩.

نعم إن في هذه الآية حثاً للأمة كلها دون تخصيص لأحد دون أحد لتكون داعية للخير آمرة بالمعروف ناهية عن المنكر مؤمنة بالله ولذلك فالمعنى في الآية على التجريد ومن ليست للتبعيض فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس خاصاً بأحد ومن البراهين على ذلك:

١– أنه ما من أحد إلا وهو راع فكما جاء في الحديث «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» والراعي يأمر وينهى بلا شك في حدود رعيته بيده ولسانه.

٢– أنه ما من مسلم إلا وهو يعلم من الدين أموراً واجبة وأموراً محرمة فمن من المسلمين لا يعرف وجوب الصدق ووجوب الصلاة والزكاة ونحوها ومن منهم لا يعرف حرمة الكذب والزنا والسرقة.... إلخ.

فكيف يرى المسلم أحداً من خاصته يترك مثل هذه الواجبات أو يقع في مثل هذه المحرمات ويتوقف عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويقول لست من أهل العلم والحكمة كيف؟والمسلم مأمور أن يغير المنكر إما بيده أو بلسانه أو بقلبه وذلك بمقاطعة أهل المنكر وهذا فيه نهي عن المنكر، بل كان بعض السلف يعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الركن السادس من أركان الإسلام فكيف يعدونه كذلك وهو خاص بفئة معينة لذلك لا يصح تخصص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأحد دون أحد.

نعم إن المخصص في مسألة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس الآمرين الناهين بل المأمورين المنهيين حيث لا يأمر كل أحد إلا في حدود رعيته فقط.

٣– أنه جاء بعد هذه الآية قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ فالإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثالوث متلازم لا يتصور وجود واحد

منفصلاً عن الآخرين.

٤– أن النبي ﷺ ذكر أنه أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يرى أخاه على الذنب فينهاه عنه فإذا كان الغد لم يمنعه ما رأى منه أن يكون أكيله وشريبه وخليطه، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ونزل فيهم القرآن ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ﴾ الآية [1] وهذا وصف لعامة بني إسرائيل ليس للعلماء أو الحكام فقط.

وقد أردت بهذا التفصيل التأكيد على وجهة النظر القائلة بالتجريد في هذه الآية؛ لأن هذا رأي الأقلِّيَّة فلا بد من الإتيان بأدلة قويَّة تثبت صحَّته، والتجريد في هذه الآية جميل جداً، ويجب أن تفهم الآية عليه، وكأنَّ هذه الآية تخرج من أمّة محمد ﷺ على كثرتها والتي تدعي أنها متبعة له تخرج منها أمة هي أمته ﷺ بحق والتي من صفاتها ما ذكر في الآية من أمر بمعروف ونهي عن المنكر إلى آخر الآية.

- قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران: ١١٧]

يرى الزمخشري أن هذه الآية تحمل ثلاثة وجوه:

الأول: أن الصّر هو البرد وهذا لا تجريد فيه.

والثاني: أن الصّر وصف للبرد أي فيها قِرّة صر وهذا مثل الأول.

والثالث: أنها على معنى التجريد[2].

واختار ابن المنير الاحتمال الثالث ورجحه[3]. وأشار إلى ذلك الآلوسي

---

(١) رواه الترمذي، انظر سنن الترمذي حديث رقم ٣٠٤٧، ٢٥٢/٥، وأبو داود في سننه ١٢١/٤.

(٢) الكشاف ٤٥٧/١.

(٣) انظر الإنصاف ضمن الكشاف ٤٥٧/١.

أيضاً [١].

لكن أبا حيان استبعد أن تكون من التجريد[٢].

ولا أرى في هذه الآية تجريداً لأن هذا ليس من مقامات التجريد فالتجريد ينبغي أن يكون في جملة فعلية أو بمعنى الفعلية فأنت لا تقول زيد منه أسدا ولكن تقول رأيت من زيداً أسداً. هذا ما لحظته في أساليب التجريد التي وجدت.

ثم إن أكثر المفسرين وأهل اللغة على أن الصّر البرد الشديد وذهب بعضهم إلى أنه النار[٣].

فلا نجرد شيئاً من شيء إلّا وهو يصلح أن يوصف به أو يشبه به فنحو رأيت منه عالما أو أسداً يمكنك أن تقول هو عالم أو هو كالأسد ولكن لا يصح أن تقول الريح مثل البرد.

● قوله تعالى: ﴿ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ ﴾ [سورة المائدة:آية ٨٣]

أشار الآلوسي إلى أن هذا التعبير أبلغ من لو قال تفيض عيونهم دمعاً لأن في هذا الأسلوب تجريداً وذلك لكونه جعل الأعين فائضة ثم جرد الأعين الفائضة من الدمع باعتبار الفيض.

ثم يكمل الآلوسي بالقول وحديث التجريد لا ينبغي أن يصدر إلا ممن له معرفة بأساليب الكلام[٤].

أما ابن المنير فيرى أن للتعبير عن هذا المعنى ثلاث مراتب:

أولها: الذي جاء في الآية.

---

[١] روح المعاني ٣٦/٤.

[٢] تفسير البحر المحيط ٥٧/٣.

[٣] التفسير الكبير للفخر الرازي ١٧١/٨.

[٤] روح المعاني ١٦٠/١٠.

ثانيها: أن يقال: فاضت عينه دمعاً.

والثالث: أن يقال: فاض دمع عينه.

وأبلغ هذه التعبيرات الأولى لأنها برزت في صورة التعليل ثم الثانية ثم الثالثة أقلها بلاغة[1].

ولكني أخالف من يرى التجريد في هذه الآية كما أني أخالف ابن المنير في قوله هذه الصياغة أبلغ من هذه دون ترّو لأن فاضت عينه دمعاً بليغة أيضاً، وقد جاء عليها قوله تعالى: ﴿ وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾.

لذلك فالذي أراه أن هذا ليس تجريداً وإنما هو من باب مغايرة في الأسلوب لأن أصل العبارة فاض الدمع من أعينهم أو ترى أعينهم فائضا دمعها ومِنْ التي في الآية (مزيدة) فكثيراً ما تزاد الحروف وليست للتجريد لأن الدمع ليس وصفاً للعين، والتجريد لا بد أن يكون بين موصوف وصفة أو ما هو في حكمها وحتى لو قلنا رأيت من أعينهم دمعا لما كان هذا تجريداً بل تعبيراً حقيقياً ومن للإخراج لا للتجريد نحو خرج زيد من المترل.

وقد رجح أبو حيان أن من هنا بمعنى الباء أي تفيض بالدمع وإنما أسند الفيض إلى الأعين على سبيل المجاز وذكر أن ذلك يحتمل المبالغة[2].

● قوله تعالى: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَيِّ ﴾ [الأنعام: ٩٥]

ذكر الزركشي أن بعض المؤولين يجعلون هذه الآية من التجريد أي أن الحيوان كله ميته ثم يحييه الله وهذا معنى التجريد[3].

ولست أرى في هذه الآية تجريداً لأنه لو أراد مجرد الإحياء والإماتة أي أنه

---

[1] الإنصاف ضمن الكشاف ٦٣٩/١.

[2] تفسير البحر المحيط ١٠/٤.

[3] البرهان في علوم القرآن ٤٤٩/٣.

يميت الحي ويحيي الميت لقال ذلك صراحة وقد جاء في آيات أخرى أنه سبحانه يحيي ويميت.

ثم إنا إذا جعلنا في إحدى الجملتين تجريداً لزم أن نجعل في الأخرى تجريداً لأنهما متعاطفتان وفي معنى واحد ونسق واحد إلا أننا لا يصح أن نفهم قوله تعالى: ﴿ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ﴾ على التجريد لأن ذلك يجعلها بلا معنى فكونه سبحانه يجعل من الحي ميتاً يعني يميته فذلك ليس آية لأن الإنسان أو الحيوان قد يقتل الحي ويجعل منه ميتا، فالكافر الذي حاج إبراهيم وقال أنا أحيي وأميت جعل إبراهيم يغير حجته لأن هذا مما يقدر عليه البشر.

لذلك فالمعنى الذي في الآية هو أن الله يخرج فعلاً من الحي شيئاً آخر مختلفا ميتاً، ويخرج من الميت شيئاً آخر مختلفاً حياً بغض النظر عن المراد من ذلك سواء أأريد بذلك البيضة والدجاجة أم النطفة والبشر أم غير ذلك.

فكلمة يخرج تتعدى بمن والتعبير في الآية على ظاهره لا تجريد فيه.

- قوله تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ ﴾ [الأعراف:٢٠٠]

يرى الآلوسي أن التعبير في هذه الآية قد يكون على طريقة جد جده ومن ابتدائية. ويجوز أن يراد التجريد ومن بيانية أي ينزغني منه نازغ. ويجوز أن يراد بالنازغ وسوسة الشيطان[١].

ولكني أرى أن هذه العبارة ليست على شاكلة التجريد فالنزغ فعل الشيطان والتجريد لا يكون لفعل من فاعله، لأن الفعل يكون من الفاعل من غير تجريد، فلو قلت رأيت من فلان شجاعة لم يكن هذا تجريدا، وإنما يصح لو قلت: رأيت منه بطلاً، وانتزعت موصوفاً من موصوف، وقد تنزع صفة من صفة لامن موصوف، ولذلك فالآية على طريقة جد جده وهي من إسناد الفعل

---

[١] روح المعاني ٢٤/١٢٤.

إلى مصدره وهذا من المجاز العقلي، فالآلوسي حين فسر النزغ بالنازغ، لم يكن مصيباً.

- قوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ ﴾ [يونس: ٩٢]

يقول الآلوسي وحمل بعض الأفاضل الكلام على التجريد، وجوزوا أن تكون الباء زائدة وبدنك بدل بعض من ضمير المخاطب كأنه قيل ننجي بدنك(١).

وليس في هذه الآية تجريداً – كما ترى – وليست الباء مزيدة لأن المزيدة إذا حذفت استقام المعنى فلو قلنا ننجيك بدنك لم يستقم ولكنها على طريقة العرب في نحو هذا التعبير نحو قول الراجز:

الليلُ داجٍ والكِبَاش تنتطِح   ومَن نَجَــا برأسه فَقَد ربح

فهم يقولون نجا برأسه وسلم بروحه وهكذا، وهذا شكل من الأداء اللغوي لا ينبغي أن نبحث فيه عن دلالة بلاغية.

ذكر الأخفش أن بعضهم رأى أن معنى ببدنك أي: بلا روح ، وهذا معنى مستقيم أيضاً وكأن الباء جاءت عوضاً عن المحذوف(٢).

- قوله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ ﴾ [هود:١٧]

علق على ذلك الآلوسي فقال:(من) إما بيانية وإما تبعيضية علماً أن القرآن ليس كله شاهداً وليس من التجريد على ما توهم الطيبي وروي عن ابن عباس و مجاهد وغيرهما أن البينة القرآن والشاهد جبريل عليه السلام.

ويتلو من التلاوة لا التلو وضمير منه لله تعالى رقيل الشاهد لسانه ،

---

(١) روح المعاني ١١/١٨٣.

(٢) معاني القرآن للأخفش ج٢ ص٥٧٣.

ويتلوه من التلاوة ومن للتبعيض من الرسول ﷺ(١).

ولكني أفهم من الآية غير الذي فهمه العلماء منها مما سبق وذلك أنني لا أرى صحة رأي من ذهب إلى أن الشاهد جبريل والضمير في (منه) يعود إلى الله إذ لا يستقيم الكلام العربي بهذه الطريقة، فالضمائر إذا توالت وكانت من نوع واحد عادت إلى مرجع واحد، فمنه إذا كانت تعود إلى الله مع أنه غير مذكور في السياق فالهاء أيضا في يتلوه يجب أن تعود إلى المرجع نفسه ولو عاد الضمير إلى الله لما صح المعنى. ثم إن يتلوه ليس من التلاوة و إلا لما عطف بالواو مادامت البينة هي القرآن ولكان السياق: أفمن كان على بينة من ربه يتلوها شاهد منه؛ من غير عطف وبضمير المؤنث، وإنما المراد يتلوه من التلو لأن التلو يستلزم أن يكون هناك شيء متقدم والفاعل تال له. فالتالي هو القرآن والمتقدم هو كتاب موسى لأنه قال ومن قبله كتاب موسى فلما جاءت قبل عرفنا أن هناك بعد؛ وهو معنى يتلوه.

ويخيل لي أن الآية تصف قوماً كانوا على معرفة بالمسيحية ديانة عيسى عليه السلام وهم كذلك على علم باليهودية التي هي قبل المسيحية ثم جاءهم القرآن تلو ذلك مصدقا لما بين يديه من الكتاب فكانت عندهم ثلاثة براهين على هذا الحق خاصة أن الكتب السماوية بشرت برسالة محمد ﷺ، فالبينة لعلها المسيحية. والشاهد القرآن، ومنه أي من هذا الحق أو الوحي أو من جنسه، أو نوعه، ولذلك جاء هذا الاستفهام للاستغراب من أن يكون من هؤلاء الذين جاءتهم هذه البراهين السابقة واللاحقة ، كمن لم يأتهم نذير أو نحو ذلك.

- قوله تعالى: ﴿ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [هود ٣٧].

يرى الآلوسي أن الباء للملابسة والأعين حقيقة في الجارحة والجمع للمبالغة وذكر أن بعض العلماء زعموا أن الأعين بمعنى الرقباء وأنه من التجريد،

---

(١) روح المعاني ١٢/٢٧. والفراء يرى أن الذي على بينة هو النبي ﷺ ويتلوه من التلاوة والشاهد جبريل عليه السلام والهاء تعود للقرآن. (معاني القرآن ج٢ ص ٦).

وأن انتزع من نفس الشيء شيئاً آخر مثله، وقد جرد هنا من ذات المهيمن جماعة الرقباء وهو سبحانه الرقيب.

وذكر أن هناك من فسر الأعين بالملائكة الذين جعلهم الله عيوناً[1].

أما الشيخ ابن عثيمين رحمه الله فيرى أن ظاهر اللفظ غير مراد ويرجح ما ذهب إليه بعض السلف أن المراد بمرأى مني فإن الله إذا كان يكلؤه بعينيه لزم أن يراه ولازم المعنى الصحيح جزء منه[2].

والحقيقة أنه ليس في الآية تجريداً وليس هذا على طريقة التجريد أبدا وإنما فيها مجاز من إطلاق الآلة وإرادة عملها نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴾ فالمراد به ما يقوله اللسان من الذكر الحسن.

وما ذكر ابن عثيمين من أنها تجري بمرأى مني هو الصواب، والله أعلم.

- قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَا وَسُلْطَـٰنٍ مُّبِينٍ ﴾[هود: ٩٦]

يرى الزمخشري أن في هذه الآية وجهين لم يذكر منها التجريد:

أحدهما: أن في هذه الآيات سلطاناً مبيناً لموسى.

والوجه الآخر: أن المراد بذلك العصا لأنها أبهر الآيات[3].

أما بعض العلماء فعدوا هذا من التجريد لأن السلطان المبين هو الآيات نفسها فجرد منها سلطانا وحجة[4].

ولكن لعل السلطان المبين هو الحجة كما ذهب إلى ذلك أبو حيان[5]

---

(١) روح المعاني ١٢/٤٩.

(٢) القواعد المثلى في أسماء الله الحسنى لابن عثيمين ص٣٢٣-٣٢٤.

(٣) الكشاف ٢/٢٩١.

(٤) روح المعاني ١٢/١٣٢.

(٥) تفسير البحر المحيط ٥/١١٠.

والتي هي بالكلام سواء كان بجدالهم بنصوص التوراة أو بجدالهم بكلامه وأسلوبه، أما الآيات فهي الآيات التسع التي ذكرها الله في قوله: ﴿ فِي تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ﴾ [الآية]

ثم إنه لو كانت الحجة هي الآيات فليس هذا تجريدا أيضا لأن التجريد لا يكون بالواو. والعطف يقتضي المغايرة.

● قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾ [النحل ٥٤].

قال الزمخشري منكم للبيان لا للتبعيض كأنه قال: إذا فريق كافر وهم أنتم ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر كقوله: ﴿ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ﴾ [الآية] ⁽¹⁾.

وقد رأى الآلوسي أن الأمر يحتمل هذين الاحتمالين أيضاً، وأن (من) قد تكون للتبعيض وقد تكون للتجريد و إلّا فليس هذا من مواقع التجريد كما قال⁽²⁾.

ولكني أرجح أن (من) هنا للتبعيض لأن القرآن قد بين أن منهم مقتصداً ثم إن كلمة «فريق» تعني بعضا منكم والتجريد لا يكون للبعض من الكل وإنما يكون للكل من الكل فتجرد من الشخص شخصاً ومن الأمة أمة أو نحو ذلك والفريق في القرآن يرد دائما للدلالة على فرقة من فرق. ثم إن المعهود في التجريد أن يتقدم حرف التجريد قبل المجرد أما في هذه الآية فكلمة فريق جاءت بعد الحرف. وكل ذلك يؤيد بل يؤكد أن لا تجريد في الآية خصوصا والعلماء بدوا وكأنهم مترددون في الترجيح بين الدلالتين (البيان والتبعيض) والله أعلم.

● قوله تعالى: ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾[الكهف ١٠]

ذكر الزمخشري أن هذه الآية تحتمل أمرين إما أن يراد بالأمر مفارقتهم

---

(1) الكشاف ٢/٤١٣.

(2) روح المعاني ١٤/١٦٥.

للكفار ويحتمل أن يراد التجريد أي اجعل أمرنا رشدا كله(١).

ويرى الآلوسي أن هذه الآية تحتمل التجريد للمبالغة(٢).

أما أنا فلست أرى في هذه الآية تجريداً بل أرى أنّ المراد هيئ لنا من أمرنا هذا رشدا أي اكتب لنا فيه رشدا وأن (من) هنا بمعنى في فهي قد ترد كذلك نحو قوله تعالى: ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ﴾ [الجمعة ٩] (٣). أي في يوم الجمعة.

ولأن الرشد والأمر كلاهما معنوي وكلاهما عام الدلالة وغير واضح انتزاع أحدهما من الآخر.

● قوله تعالى: ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ﴾ [مريم: ٥ – ٦]

قرأ علي وابن عباس يرثني وارث من آل يعقوب وعدّه ابن جني من التجريد على أنه يرثني منه وارث وهو الوارث وإلى ذلك ذهب الزركشي (٤).

كما ذكر الزمخشري أن المراد يرثني به وارث وأن هذا من التجريد في علم البيان والمراد بالإرث ارث العلم والنبوة ليس المال لأن الأنبياء لا تورث كما ذكر أن هناك من ذهب إلى أن من للتبعيض لأن آل يعقوب لم يكونوا كلهم أنبياء ولا علماء(٥).

وقد عده البيضاوي والآلوسي من التجريد(٦).

---

(١) الكشاف ٢/٤٧٣.

(٢) روح المعاني ١٥/٢١١.

(٣) مغني اللبيب ص٤٢٤.

(٤) البرهان في علوم القرآن ٣/٤٤٩.

(٥) الكشاف ٢/٥٠٣.

(٦) تفسير البيضاوي ٢/٢٩؛ روح المعاني ١٦/٦٣.

وعلى هذه القراءة فيجوز أن تكون على سبيل التجريد أما على قراءة:يرثني ويرث من آل يعقوب فلا تجريد فيها.

- قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴾ [الفرقان ٥٩]

يرى الزمخشري أن المراد فسل رجلاً خبيرا به وبرحمته أو فسل بسؤاله خبيراً كقولك رأيت به أسداً والمعنى سألته فوجدته خبيراً[١].

ورجح أبو حيان وجود التجريد في هذه الآية[٢].

أما الآلوسي فذكر أوجهاً لها:

الأول: أن به صلة لـ«خبيراً» ولكنه قدم من أجل رؤوس الآي.

الثاني:أنه روي عن ابن عباس أن الخبير جبريل عليه السلام.

الثالث:أن المراد بالخبير من كان على علم من أهل الكتاب بالكتاب.

الرابع: التجريد[٣].

أما ابن هشام فيرى أن الباء بمعنى «عن» أي فاسأل عنه خبيراً[٤].

والحقيقة أنني أرى أن أصحّ هذه الأوجه هو التجريد لأن سؤال جبريل إنما هو سؤال الله تعالى لأن جبريل مبلغ عند الله.

ولا أعتقد صحة رأي من ذهب إلى أن المراد بالخبير من علم من أهل الكتاب لأنهم لن يكونوا أعلم بالله من النبي ﷺ أو جبريل عليه السلام ولم يكن ليصرفه الله إلى سؤال أهل الكتاب في الوقت الذي يمده فيه الوحي بما يحتاجه، ولا يمكن أن يوصي الله نبيه ﷺ بأن يسأل أهل الضلال والزيغ، ليتعلم منهم التوحيد أو بعض صفات الله تعالى.

---

[١] الكشاف ٣/٩٨.

[٢] تفسير البحر المحيط ٦/٦١٥.

[٣] روح المعاني ١٩/٣٩.

[٤] مغني اللبيب ص١٤١.

كما أني لا أرى صحة رأي من قال إنّ المراد (فاسأل خبيراً به) وأنه قد تقدم الجار والمجرور مراعاة الروس الآي؛ لأنّ التقديم إذا كان ملبساً لا يصحّ وتقديم الجار والمجرور وجعله بعد الفعل مباشرة يؤدي إلى اللبس؛ لأنه سيتعلق بـ(اسأل) الأقرب، وهو في الحقيقة متعلق (بخبير) لذلك قال البلاغيون في قوله تعالى: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه﴾ [غافر: آية ٢٨].

إن الجار والمجرور لو تأخر وألصقت الصفة بالموصوف لالتبس الأمر وظن أن الرجل يكتم إيمانه من آل فرعون [1].

- قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: آية ٧٤].

يقول الزمخشري: "فإن قلت (من) في قوله من أزواجنا ما هي؟ قلت: يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل: هب لنا قرة أعين، ثم بينت القرة وفسرت بقوله: (من أزواجنا وذرياتنا..) وهو من قولهم: رأيت منك أسداً، أي أنت أسد [2]. وما ذهب إليه الزمخشري أراه صحيحاً، فالإنسان عندما يدعو ربّه أن يسعده بذريته لا يخص بعضهم دون بعض وإنما يدعو بأن يجعلهم جميعاً قرّة أعين، ولكن جاءت من هنا كأنها للتبعيض وليست كذلك مما جعلها تزيد المعنى تأكيداً كما في تأكيد المدح بما يشبه الذّم؛ لأنّ من هنا كأنها تستثني بعضهم في الظاهر للذم ولكن هي في الحقيقة لم تستثن أحداً بل شملت الجميع. وهذا من أحسن البلاغة وأجمل البراعة.

- قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب ٢١]

يرى الزمخشري أن هذه الآية تحتمل وجهين:

الأول:أنه في نفسه أسوة حسنة كما تقول في البيضة عشرون مناً من

---

[1] (١) الإيضاح: ج١ ص٢٣١.

[2] (٢) الكشاف ج٣ ص١٠٢.

الحديد وكلها هذا المبلغ من الحديد.

الثاني:أن فيه خصلة من حقها أن يتأسى بها وتتبع هي المواساة بنفسه[1].

وذهب الآلوسي إلى أن الآية يجوز أن تكون من التجريد وأن الأسوة بمعنى القدوة وأن هذا التجريد للمبالغة في كونه ﷺ قدوة[2].

نعم إنني أرى أن هذه الآية من التجريد حيث جُرد لهم من رسول الله ﷺ الأسوة لتكون شاخصة أمامهم فيقوى أثرها في أذهانهم ولو لم يرد التجريد لقال لقد كان لكم رسول الله أسوة. فليس من معنى لحرف الجر هنا غير التجريد، وهذا من أحسن مواقعه.

ولم تخصص الآية صفة من صفاته ﷺ كما أشار إلى ذلك الزمخشري فالآية عامة وكل صفاته ﷺ هي محل اقتداء واتساء.

● قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ﴾ [فصلت ٢٨]

فقد عدها ابن جني من التجريد وقال عن النار هي دار الخلد[3].

وقال الزمخشري:معناه أن النار هي نفسها دار الخلد كقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[4].

والقزويني يستشهد على التجريد بهذه الآية ويقول ليس المعنى على تشبيه جهنم بدار الخلد إذ هي نفسها دار الخلد[5].

وفي هذه الآية لا أستبعد التجريد لكني لا أرجحه لأني أفهم من الآية معنى مختلفاً، فالدار هنا ليست البناء المعروف للسكن، وإنما المراد وصف لحياة معينة كما

---

(١) تفسير الزمخشري ٢٥٦/٣.

(٢) روح المعاني ١٦٧/٢١.

(٣) الخصائص ٤٧٤/٢.

(٤) الكشاف ٤٥٢/٣.

(٥) الإيضاح ١٠١/٣.

يقال للدنيا دار وللآخرة دار، لأن كلا منهما حياة معينة يمكث فيها الإنسان زمناً والآخرة هي دار الخلود، والمقصود هم في النار الخلود وليست (في) للتجريد وإنما هي ظرفية، فهم فعلاً في النار كما قال تعالى: (وهم فيها خالدون). والقرآن يوضح بعضه بعضاً فكأنه قال هم فيها مكث الخلود، والله أعلم.

- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق: ٣٧]

ذكر السجلماسي أن في هذه الآية تجريداً في قوله إن في ذلك لذكرى[١]. وذهب إلى ذلك الزركشي أيضاً [٢].

ولست أرى أثراً للتجريد في هذه الآية وإنما هذا نوع من الاستعمال اللغوي كما في قوله تعالى عن التوراة: (فيها هدى ونور) [سورة المائدة، آية:]. وإن كانت كلها هدى وكلها نور، لكني لا أرى التجريد مراداً هنا؛ لأن هذا استعمال لغوي، والتجريد غالباً ما يسبقه فعل يتعلق الحرف به، وهنا جملة اسمية لا توحي بالتجريد ولا تدل عليه.

- قوله تعالى: ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴾ [القمر ٤٣]

قال الآلوسي ويجوز أن يعتبر في أكفاركم ضرب من التجريد الذي ذكروه في نحو: لهم فيها دار الخلد، فكأنه جرد منهم كفارا وأضيفوا إليهم، وفي ذلك من المبالغة ما فيه. ويجوز أن يكون هذا وجها للعدول على أنتم وربما يترجح به كون الخيرية المنفية باعتبار لين الشكيمة في الكفر[٣].

ولكن لا أرى هذا تجريداً فالخطاب لأهل مكة أو قريش ولعل المراد

---

(١) المنزع البديع ص٢٨١.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣/٤٤٩.

(٣) روح المعاني ٢٧/٩٢.

بالكفار من يموت منهم على الكفر ويلقى العذاب.

فالكفار إذن على أنواع والمقصود ذلك الصنف الذي بُلّغ وقامت عليه الحجة ومات على الكفر فإنه سيعذب كما عذب من قبله وليست هناك ميزة لكفار قريش الذين من هذا النوع على بقية الكفار من الأمم الأخرى.

وليس هذا من مقامات التجريد والكلام فيه استفهام والتجريد لم نعهد أنه جاء مع استفهام ثم إن كفار مضافة إلى الضمير ولم نعهد أن يضاف المجرد إلى المجرد منه.

ولذلك ذكر أبو حيان: أن الخطاب لأهل مكة والمراد فهل أنتم خير ممن سبقكم من الكفار فلا تعاقبون على الكفر[1].

- قوله تعالى: ﴿ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ﴾ [الرحمن ٣٧].

يقول الزمخشري وقرأ عمرو بن عبيد فكانت وردةٌ كالدهان بمعنى فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذي يسمى التجريد[2].

وعدّ البيضاوي هذه القراءة من التجريد وكان تامة[3].

وذكر الآلوسي أن المراد بقوله تعالى: ﴿ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ ﴾ أي صارت كلون الوردة في الإحمرار وفي الكلام تشبيه بليغ.

أما على قراءة الرفع فهو من التجريد[4].

ولم أجد قراءة الرفع من القراءات الصحيحة بل ولا حتى القراءات الشاذة من خلال الكتب التي اطلعت عليها ولكن أوردها بعض التفاسير[5].

---

[1] تفسير البحر المحيط ٨/٢٥٩.

[2] الكشاف ٤/٤٨.

[3] تفسير البيضاوي ٢/٤٤٣.

[4] روح المعاني ٢٧/١١٣.

[5] انظر معجم القراءات ٩/٢٧٠.

وهذه الآية من الآيات التي صعب عليّ الحكم عليها؛ لاختلاف المفسرين في المراد بالوردة وكذلك الدهان، ثم إنني لا أظن على قراءة من قرأ بالفتح أن هذا من التشبيه إذ كيف يشبهها بالوردة ثم يشبهها مباشرة بالدهان، أظن هذا لو كان أسلوب تشبيه لقال أو كالدهان مثلا، ولذلك أظن أن لفظ (وردة) مشتمل على معنى الانشقاق كأنما قال فصارت منشقة بصفة معينة كالدهان والله أعلم. أما قراءة الرفع فلم أجد لها دلالة تستقيم معها.

ومن جعل كان تامة لا أراه مصيبا فإن كان إذ كانت تامة كان بمعنى وُجِد ولا يصلح وضع كلمة وجد هنا وإنما الذي يصلح هو كان الناقصة أو صار أيضاً؛ فيصلح أن يقال فصارت وردة كالدهان، لذلك لا أجد من أثر لوجود التجريد في هذه الآية على قراءة الرفع.

علماً بأن محمود الحلبي قد علّق على رأي من ذهب إلى أن المراد فكانت منها وردة قائلاً فيه نظر[1]؛ مما يعني استبعاده لهذا الأمر، والله أعلم.

* * *

---

[1] حسن التوسل في صناعة الترسل ص١١.

الخاتمة

هذه الآيات التي أشار بعض العلماء إلى وجود التجريد فيها، وهي تقارب العشرين آية لكن نفيت وجود التجريد في أكثرها ورأيت أن العلماء قد حملوا بعض الأساليب القرآنية مالا تحتمله من المعاني وكان الأولى أخذ الحيطة والحذر حين التعامل مع أسلوب القرآن الكريم فمن الخطأ تطبيق القاعدة البلاغية على النص القرآني من غير ترو ولا تأمل.

وقد بينت هذه الدراسة أن التجريد الذي جاء في القرآن هو الذي يكون بحرف ولم يأت النوع الآخر الخفي ربما لأن القرآن كتاب مبين.

كما أنه لم يأت فيه التجريد مع صورة تشبيهية نحو رأيت من زيد أسداً لأن فيه مبالغة تصل إلى حد الكذب والقرآن منزّه عن هذا بل كان التجريد في القرآن أسلوباً معبراً أصدق التعبير مؤثراً غاية التأثير من غير تزييف ولا تضخيم، وماذلك إلا لأنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

أسأل الله أن أكون قد وفقت في أحكامي وأنا -مجتهد؛ والمجتهد مثاب أخطأ أو أصاب.

والحمد لله كثيراً أولاً وأخيراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا.

* * *

المصادر والمراجع

١ . الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال – لأحمد بن المنير الإسكندري المالكي (مطبوع ضمن الكشاف) كما سيأتي بعد قليل.

٢ . أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) لناصر الدّين عبد الله بن عمر البيضاوي – مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط٢، عام ١٩٦٨م.

٣ . الإيضاح للخطيب القزويني (مطبوع ضمن بغية الإيضاح) كما سيأتي.

٤ . الإيضاح للقزويني بشرح الشيخ عبد المنعم خفاجي، مكتبة الكلّيات الأزهريّة، القاهرة، ط٢.

٥ . بحوث في البلاغة والنقد د. محمد الشحات أبو ستيت، مطبعة الأمانة، مصر ط١، ١٤١٢هـ.

٦ . البرهان في علوم القرآن لبدر الدّين محمّد الزّركشي، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة.

٧ . بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح للشيخ عبد المتعال الصعيدي.

٨ . تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لمحمّد المباركفوري، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط١ عام ١٩٩٠م.

٩ . تفسير الفخر الرّازي (التفسير الكبير مفاتح الغيب) لمحمد بن ضياء الدّين الرّازي، دار الكتب العلميّة، طهران، ط٢.

١٠ . تفسير ابن عاشور (التحرير والتنوير) لمحمّد الطاهر بن عاشور، الدّار التونسيّة للنّشر.

١١ . حسن التوسّل في صناعة الترسّل لمحمود بن سليمان الحلبي، مطبعة أمين أفندي بمصر عام ١٣١٥هـ.

١٢ . الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النّجار، دار الكتاب العربي ببيروت.

١٣ . دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، تحقيق محمود محمّد شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

١٤ . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود الألوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٥ . سنن أبي داود لأبي سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمود محيي الدّين عبد الحميد، المكتبة العصريّة، بيروت.

١٦ . شروح التلخيص (للسعد والمغربي والسبكي والقزويني والدسوقي) دار الكتب العلميّة، بيروت.

١٧ . الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ليحيى بن حمزة بن علي العلوي – دار الكتب العلميّة.

١٨ . فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن حجر العسقلاني، المكتبة العصريّة، بيروت عام ٢٠٠٢م.

١٩ . في ظلال القرآن لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٧ عام ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

٢٠ . القواعد المثلى في أسماء الله الحسنى، للشّيخ محمّد بن صالح بن عثيمين.

٢١ . الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل لجار الله محمود الزّمخشري، دار الفكر، ط١، عام ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م.

٢٢ . المثل السّائر لضياء الدّين ابن الأثير، تحقيق أحمد الحوفي ود. بدوي طبانة، دار النهضة مصر، ط٢.

٢٣ . معاني القرآن للأخفش (سعيد بن مسعدة) دراسة وتحقيق د. عبد الأمير محمد الورد، عالم الكتب بيروت.

٢٤ . معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي.

٢٥ . معجم القراءات، د. عبد اللطيف الخطيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق.

٢٦ . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لجمال الدّين ابن هشام الأنصاري، تحقيق د. مازن المبارك ود. محمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت ط٥ عام ١٩٧٩.

٢٧ . مفتاح العلوم لأبي يعقوب يوسف السكاكي، دار الكتب العلميّة بيروت، ط١ عام ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٢٨ . المنـزع البديع في تجنيس أساليب البديع للقاسم الأنصاري السجلماسي.

* * *

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

مقدمة ٤٧٥
- التجريد عند البلاغيين ٤٧٦
- التجريد والتشبيه: ٤٨٠
- التجريد والكناية: ٤٨١
- حروف التجريد: ٤٨١
- بلاغة التجريد: ٤٨٢

شواهد التجريد من القرآن العظيم ٤٨٤
الخاتمة ٥٠٣
المصادر والمراجع ٥٠٤
فهرس الموضوعات ٥٠٦

* * *